# تـنـاص ( رسائل النور ) مع الهَدِيَيْن
# في الفاعلية الإيجابية لبناء عالم أفضل

**الأستاذ المساعد الدكتور إسماعيل آل ناصر**
**كلية التربية للعلوم الانسانية**

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. ورضي الله عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

**التعريف بمفاهيم البحث الأساسية:**

**١. التناص:**

يشير التناص الى الخاصية التكوينية في كل نص، ومجموع العلاقات الصريحة أو الضمنية التي بين نص ما ونصوص أخرى. ويستعمل التناص للاشارة الى حضور عدد من النصوص في نص آخر بالشاهد والتلميح. والدلالة على مجموع نصوص مرتبطة فيما بينها بعلاقات تناصية[١]. وتحيل التناصية تارة على خاصية من الخاصيات المكونة للنص وتارة على مجموع العلاقات الصريحة والضمنية التي تربط نصا ما بنصوص أخرى[٢].

ويعرّف التناص بأنه: لوحة من الاستشهادات التي تقوم على امتصاص نصوص متنوعة. وهو تعالق للنصوص مع بعضها لتوليد نص جديد[٣]. ويعرفه جيرار جنيت: بعلاقة حضور متزامن بين نصين أو أكثر أو هو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر[٤]. إذ تعد

---

(١) ينظر: معجم تحليل الخطاب، شارودو ومنغنو، ت: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨: ٣١٥- ٣١٨.

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ت: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، ط١، بيروت، ٢٠٠٨: ٧٧-٧٨.

(٣) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ديكرو و سشايفر، ت: د.منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، د.ط.ت: ٥٣٣.

(٤) نظرية التناص، ب.م. دوبيازي، ت: المختار حسني، فكر ونقد: ٢٨.

جميع العلاقات التي تربط نصا بآخر، بصورة أساسية، علاقات تناص[1]. فالتناص خاصية ضرورية لا يستطيع أن ينفلت منها أي مكتوب على الإطلاق.

**٢. الهَديَيْن:**

يقصد بالهَديَيْن: (القرآن الكريم) و(السنة النبوية) الذين اتخذهما الإمام النورسي نبراساً لرسائله النورانية. وقد وُصف (القرآن الكريم) و(السنة النبوية) بالهدى، انطلاقا من حديث رَسُولُ اللهﷺ: "إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ **لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا:** كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ"[2]. وفي رواية أخرى: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ **لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا:** كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»[3].

ويشير (نفي الضلال) الى تحقق دوام الهداية الالهية للمعتصمين بـ(القرآن الكريم) و(السنة النبوية)، ومن هنا عُدّا هداية انطلاقا من دلالة الاثبات للنفي، فعندما ينتفي الضلال تثبت الهداية وحدها. ودلالة المنفي على الاثبات أقوى من دلالة المثبت عليه. لأن المثبت يحتمل غيره، على عكس المنفي الذي لا يحتمل غيره. فقول رَسُول الله ﷺ: (**لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا**) يؤكد حصول الهداية بشرطها ولا يحتمل الضلال أبدا.

**٣. الفاعلية الايجابية:**

يقصد بالفاعلية الايجابية: قوة الدافع والتأثير في محيط المسلم وواقعه بصورة ايجابية، فقوة الفاعلية لوحدها لا تكفي، لأنها قد توظف في غير المقصود، ولذا تحتاج الفاعلية الى صفة الايجابية لتحقق الهدف المرجو منها.

تستند الفاعلية الايجابية الى آيات قرآنية وأحاديث نبوية تؤكد على القوة والتأثير، كقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[4]. وقول رَسُول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا

---

(١) المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف، ت: فخري صالح، المؤسسة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٩٦: ١٢٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٢ : (رقم ٣١٩) ١/١٧٢. (حديث صحيح).

(٣) موطأ الإمام مالك، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١، أبو ظبي- الإمارات، ٢٠٠٤: (رقم ٣٣٣٨) ٥/١٣٢٣. (حديث حسن).

(٤) سورة الأنفال: ٦٠.

تَعْجَزْ»[1].

تتحدد الفاعلية الايجابية بالأهداف الايجابية، فبديع الزمان طوال حياته كان رائده الحركة الإيجابية البناءة[2]. ويمكن توضيح **معالم الفاعلية الايجابية في رسائل النور** بالأصول الآتية:

١. **الايمان بالله والاستعانة به:** الايمان هو علمٌ، ووجودي، واثبات، وحكم، وحقيقة ايجابية. وإنّ الايمانَ يجعل الانسانَ انساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفتُه الأساس: الايمانُ بالله تعالى والدعاء اليه. بينما الكفرُ يجعل الانسانَ حيواناً مفترساً في غاية العجز[3]. وفي البسملة جهات من الاستعانة والتبرك والموضوعية بل الغايتية والفهرستية للنقط الاساسية في القرآن. فخدمة الايمان فوق كل شيء، ووظيفة طلاب رسائل النور الحقيقيين خدمة الايمان والقرآن، فضلاً عن اهتمامهم بالنوعية دون الكمية[4].

٢. **الاهتداء:** ان الخير والمحاسن والكمالات تستند الى الوجود وتعود اليه، فأساسها ايجابي ووجودي، أي ذو اصالة وفاعلية. وان اساس وأصل الضلالة والشر والمعاصي وامثالها هو عدمٌ وسلبي.. اي بلا أساس وبلا فعل ايجابي[5].

٣. **الالتزام بالاسلام وتعظيمه والاعتصام بحبل الله:** ليس بالامكان القيام بعمل إيجابي

---

(١) صحيح مسلم، الامام مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ط١، القاهرة، ١٩٩١: (رقم٢٦٦٤) ٤/٢٠٥٢.

(٢) سيرة ذاتية، ت: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط١، القاهرة، د.ت: الفصل الخامس/ ٢٥١.

(٣) ينظر: الشعاعات، ت:إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣: الشعاع السابع/١٣٨. والكلمات، ت: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٣: الكلمة الثالثة والعشرون/٣٥٤، والكلمة الرابعة والعشرون/٣٧٩.

(٤) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ت: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٢:السورة الأولى من الزّهراوين/ ٤٠. والملاحق في فقه الدعوة، ت:إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٣، القاهرة، ١٩٩٩: ملحق قسطموني/ ١٤٥.

(٥) اللمعات، ت: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣: اللمعة الثالثة عشرة/ ١١٣.

بنّاء مع التهاون في الدين. وإنّ أهم قضية هي إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم. واعلموا ان قلعتكم هي سنة رسولكم عليه أفضل الصلاة والسلام. ورسائل النور تحصر نظرها في هذا المقصد، فلا محيد عن العمل الإيجابي البناء وحده، إذ في يدنا نور.. [١].

٤. **القوة ونفي العجز الدنيوي:** فالعجز شأن الضعفاء، وإن رمت الحياة، فلا تتشبث بالعجز فيما يمكن حلّه[٢]. ولتحقيق ما نريد يتعين علينا أن نفعل القوة الخلاقة التي وهبنا الله اياها، أنها قوة الابداع ويمكننا أن نستخدم هذه القوة في صنع وتحقيق أي شيء نريده في الحياة، ويسهم تأمل قوة الخالق في هذا الكون والنظر من حولنا لنرى ابداعاته الخلابة التي لا تحصى ولا تعد[٣]. في تحقيق الفاعلية الايجابية.

٥. **المحبة:** العمل الايجابي البنّاء هو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون ان يرد الى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم[٤]. فكونك ايجابيا معناه أن تكون ودودا وصريحا وأن تقول ما تعتقده وتسعى للحقيقة وأن لا تكون فظا، وأن تختار بوعي وتنظر للجانب المضيء من الأمور، وأن تحب نفسك والآخرين وتهتم بمن حولك[٥]. وستتعالق هذه النقطة مع التي تليها.

٦. **التعاون والتعارف ونفع الآخرين:** فالايجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع الى التعاون والتعارف. اما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند[٦]. وهذا يوجب الابتعاد عن التحايز والعناد والحسد والنفاق والشقاق والحقد والغل والعداء.

---

(١) ينظر: المثنوي العربي النوري، ت:إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٥:حباب/ ٢٠٢، وسيرة ذاتية: الفصل الثاني/١٨٤، والفصل الثامن/ ٣٦٤. واللمعات: اللمعة الثالثة عشرة/ ١١٤.

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والثلاثون/٨٥٣.

(٣) ما وراء التفكير الايجابي، د.روبرت أنتوني، مكتبة جرير، ط١، المملكة العربية السعودية، ٨: ٢٠٠٥.

(٤) اللمعات: اللمعة العشرون/ ٢٢٨.

(٥) التفكير الايجابي، فيرا بيفر، مكتبة جرير، ط٨، المملكة العربية السعودية، ١٤:٢٠١١.

(٦) صيقل الإسلام، ت: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٣، القاهرة، ١٩٩٥: السانحات/ ٣٣٥.

٧. **الطوعي والاختياري:** إنّ العمل الصالح نوعان: احدهما: ايجابي واختياري. والآخر: سلبي واضطراري[١].

٨. **المدنيّة:** التي تأمر بها الشريعة الغراء وتتضمنها، تضع أسساً ايجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية[٢].

**٤. العالم الأفضل:**

تلتقي فاعلية الانسان الايجابية لبناء عالم أفضل مع قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[٣]. ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾[٤]، كما تلتقي تلك الفاعلية مع تأكيدات الرسول ﷺ على العمل بقوله: (اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.. أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ) فالسعداء هم المسهمون في بناء عالم أفضل.

**فالعالم الأفضل:** مصطلح يوصف العالم بصيغة المبالغة في التفضيل، ليكون هو الأفضل في كل شيء، وعلى الرغم من أن بناء هذا العالم يكون في الحياة الدنيا إلا أنه يمتد لمديات واسعة ويستغرق مساحة قصوى، ويمكن بيانه في الرسم الآتي:

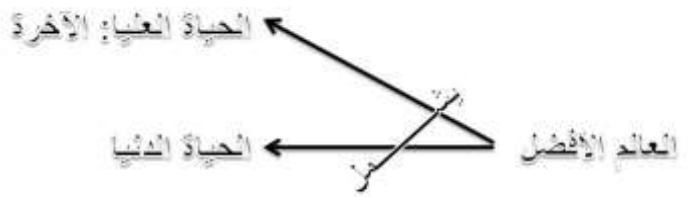


فالبشر والكائنات جميعها في حالة نشاط دائم لتحسين وضعها، فالحياة تجلب لهم شيئاً جديداً من المشاكل لتبدأ محاولاتهم النشطة لحلها وتجاوزها. وللوصول إلى عالم أفضل مما نعيش فيه يجب التطرق لقضايا عدة كالمعرفة والجهل والعلم وصياغة الواقع[٥].

---

(١) الكلمات: الكلمة الثالثة والثلاثون/ ٨٥٩- ٨٦٠.

(٢) سيرة ذاتية: الفصل الرابع/١٤١. وصيقل الإسلام: السانحات/ ٣٥٩.

(٣) سورة التوبة:١٠٥.

(٤) سورة هود:٦١.

(٥) ينظر: بحثًا عن عالم أفضل، كارل بوبر، ت: د.أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، د.ت: ٧.

في الحياة الدنيا تجد المؤمنين حقا يبحثون عن عالم أفضل. أما في الحياة العليا: الآخرة، فستكون الجنة – أو ما أطلق عليه الامام النورسي أعلى عليين[1]– هي العالم الأفضل الذي يطمح له كل مؤمن ومؤمنة.

ويؤكد الامام في رسائل النور على جملة من المعطيات التي تسهم في بناء العالم الأفضل، والتي يمكن اجمالها في:

١. **الاستغفار والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى:** إنّ أمضى سلاح ضد المهالك وأهم وسائل البناء والتعمير هو: الاستغفار والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى[2].
٢. **الرحمة والعدالة:** فلاهل الايمان وجه رحمة ووجه عدالة في كل شئ. وإن العدالة الحقيقية نجدها في القرآن المبين انه لا يُفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق حق لاينظر الى كثيره وقليله. وهذه القاعدة الجليلة هي التي ترسي العدالة الحقة في البشرية، تجد تفاصيلها في رسائل النور[3].
٣. **الاعمار والبناء:** الهداية والخير ذواتا وجود وشئ ايجابي أصيل وهما اعمارٌ وبناء، وإن الضلالة والشرّ بأكثريتها المطلقة شئٌ عدمي وسلبي وغير أصيل، وهي إخلال وتخريب. ولأهل الحق قلعة منيعة وحصن منيع –هي الشريعة الإلهية وسنّة النبي ﷺ – عندما يتحصنوا ويلوذوا بها، لا يجرؤ أحد أن يمسهم بسوء[4].
٤. **لزوم المسلك السامي:** أما طريق أهل الهداية والمسلك السامي للانبياء (عليهم الصلاة والسلام) وفي المقدمة الرسول الاكرم ﷺ فهي: وجودية وايجابيةٌ وتعمير، كما أنها حركة واستقامة على الطريق والحدود، وهي تفكر بالعقبى، وعبودية خالصة لله، كما أنها سحقٌ لفرعونية النفس الأمّارة بالسوء وكبح لجماحها[5].

**آليات تناص (رسائل النور) مع الهَديَيْن:**

لكثرة معالم الفاعلية الايجابية والمعطيات البناءة للعالم الأفضل في رسائل النور، سنختار

---

(١) ينظر: الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون /٣٤٨.
(٢) اللمعات: اللمعة الثالثة عشرة/ ١١٤.
(٣) الملاحق في فقه الدعوة: ملحق قسطموني/ ١٦١، ١٧٢، وملحق أميرداغ٢/ ٣٧٧.
(٤) اللمعات: اللمعة الثالثة عشرة/ ١١٠.
(٥) م.ن: اللمعة الثالثة عشرة/ ١٢٣– ١٢٤.

نماذج معينة نفصل فيها البحث، على وفق آليات التناص الأربع، وهي: (**١.التطابق ٢.التفاعل ٣.التداخل ٤.التحاذي**) لبيان علاقة (كليات رسائل النور) مع الهَديَيْن في اظهار فاعلية الانسان الايجابية لبناء عالم أفضل، والتي يمكن تفصيلها في الآليات الآتية:

**أولا. التطابق:**

يتحدد معنى التطابق في التساوي والاتفاق، فتَطابَقَ الشيئَان: تساوَيا، والمطابَقةُ: الموافَقة، والتَّطابُق: الاتفاق. وطابَقْتُ بين الشيئين إذا جعلتهما على حَذْو واحد.وهذا الشيء وَفْقُ هذا ووِفاقُه وطِباقُه بمعنى واحد(١).

ويتحقق بتطابق معطيات ومضامين (رسائل النور) مع الهَديَيْن في مفهوم الفاعلية الايجابية. وتتحقق في هذه الآلية تطابق المعالجة بين الرسائل والهديين، ويمكننا التمثيل لآلية التطابق في حديث الاستاذ سعيد النورسي عن محاسن الايمان، بقوله: "إن الانسانَ يسمو بنور الايمان الى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمةً تجعلُه لائقاً بالجنة، بينما يتردّى بظلمةِ الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضعٍ يؤهّلُه لنار جهنم"(٢).

يتناص حديث النورسي هذا ويتطابق مع الآيات القرآنية الآتية: ﴿ **كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ مَّرْقُومٌ.. كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ** ﴾(٣). ويمكن توضيح تداخلات التطابق في التساوي والاتفاق بين: الايمان وأعلى عليين من جهة، والكفر وأسفل سافلين من جهة أخرى، في المربع العلامي الآتي:

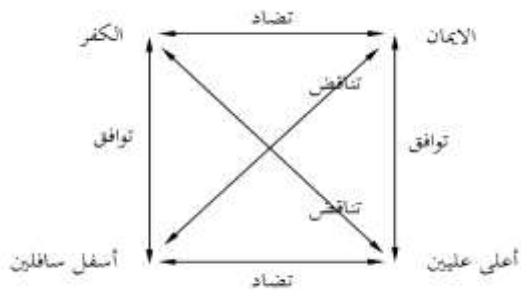


(١) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤: مادة (طبق).
(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون/ ٣٤٨.
(٣) سورة المطَفِفين: ٧، ١٧-٢١.

الذي يتخذ فيه التوافق بين طرفي ثنائية (الايمان/أعلى عليين) دلالة التلازم المشروط بالعمل الصالح، وهو ما أطلق عليه الامام النورسي (القيمة المكتسبة) التي "تجعلُه لائقاً بالجنة". وتنطبق هذه الآلية على ثنائية (الكفر/أسفل سافلين) المتوافقة، والتي يتضاد شرطها مع الأولى فيتضاد جزاؤها تبعا له.

فالثنائية المتضادة (الايمان/الكفر)- التي عرض لها النورسي- تتناص مع ثنائية (الأبرار/الفجار) القرآنية وتتطابق معها، لأنّ الايمان هو المدّ الطبيعي للأبرار كما أنّ الكفر سبيل الفجار. كما تتوافق مع ثنائية الجزاء الشامل (أعلى عليين/أسفل سافلين) المتضادة كذلك، في حين يظهر التناقض في المستوى القطري بين الكلية الموجبة والجزاء السلبي والكلية السالبة والجزاء الايجابي، بشطريه المتناقضَين.

وإن نص الاستاذ النورسي هذا ذو أبعاد شمولية، تستغرق الدنيا والآخرة معا، وليس أحادي الجانب. لإن الانسانَ يسمو بالايمان ذلك النور الذي يربطُ الانسانَ بصانعهِ الجليل، ويتردّى بالكفر – تلك الظلمة التي تقطع تلك النسبةَ وذلك الانتساب- في السلبية الوضيعة حين يلج الانحطاط المحقق لعالم سيء في الدنيا ونار جهنم في الآخرة.

وبهذا نخلص الى أن العمل الايجابي – عند النورسي- لا يتحقق الا بالايمان. وهذا ما يتطابق مع قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]. فالايمان الذي يُسمي الانسان ذو بعدين (دنيوي/أخروي)، والسمو هو المحقق للفاعلية الايجابية التي بدورها تبني عالم أفضل في الدنيا والآخرة.

وتشير النقطة الأخرى الى القوة الكامنة في الايمان: كما أن الايمانَ نورٌ وهو قوةٌ ايضاً، فالانسانُ الذي يستند الى قوةِ ايمانه يبحرُ متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام.. ويقطعُ سبيلَ الدنيا مطمئنّ البال في سهولةٍ وراحة.

والقوة أساسية في الفاعلية الايجابية والعمل الايجابي، ومن خلالها يستطيع الانسان بناء عالم أفضل، وهذا ما يشير اليه كلام الامام النورسي: إن الايمانَ يجعل الانسانَ انساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفتُه الأساس: الايمانُ بالله تعالى والدعاء اليه. بينما الكفرُ

(١) سورة البقرة: ٨٢.

يجعل الانسانَ في غاية العجز.

وهنا مكمن التطابق بين الهديين والنص النورسي الذي يحيل الايمان والكفر الى ثنائية (السلطان/ العاجز) المتضادة، والتي يمكن بيانها في الرسم الآتي:

فالايمان يحقق الفاعلية الايجابية الممهدة لبناء عالم أفضل، ولا يتم هذا البناء في نظر النورسي الا بالاستناد الى هذه النقطة[١]:

كما أن الايمانَ يقتضي الدعاء ويتّخذه وسيلةً قاطعةً ووساطةً بين المؤمن وربّه، وكما اَن الفطرةَ الانسانية تتلهف اليه بشدةٍ وشوق، فان الله سبحانه وتعالى ايضاً يدعو الانسانَ الى الأمر نفسه بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢]. فيجب ان تكون الفاعلية الايجابية مستندة الى الذات المقدسة لله سبحانه وتعالى ويتحقق هذا الاستناد بالدعاء والطلب من الله سبحانه وتعالى العون والتوفيق والسداد لتحصيل العمران، وعلى العكس من ذلك عد الامام النورسي: "الكفر والعصيان والسيئة كلها تخريب وعدم"[٣]. وهذه تتناقض مع البناء والايجابية المطلقة.

**ثانيا. التفاعل:**

من أشهر دلالات التفاعل: التشارك بين اثنين فأكثر، والمطاوعة[٤]. ويستعمل التفاعل للدلالة على وحدة التحليل الكبرى للحديث، أي مجموعة التبادلات المنجزة من قبل

---

(١) ينظر: الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

(٣) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون/ ٣٤٣.

(٤) شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تح: نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد، الرياض، د.ت: ٣٤.

المشاركين في سياق ما، لتشكيل اللقاء النصي[1]. كل عمل مشترك يحضر فيه طرفان فاعلان أو أكثر، وهو يشمل التشاركات النصية وغيرها[2].

ويتوضح عندما تتشارك رسائل النور مع الهدييّن في التوجه وطلب الغاية نفسها، ليتفاعلا معا في عرض التوجه والقصد نفسه. وسيتحقق التفاعل التناصي عندما تتشارك (رسائل النور) بمقاصدها وآفاقها الثقافية المتنوعة وتطاوع مقاصد الهَديَيْن، في العمل الايجابي لبناء عالم أفضل. ويمكننا التمثيل للتفاعل التناصي في النص النوري التالي:

إنّ الانسان هو أكمل ثمرةٍ في شجرة الخليقة، وانه أهم مخلوق بين المخلوقات، وأغلى موجود بين الموجودات، وأن فرداً منه بمثابة نوع من سائر الاحياء، وأن كلّ فردٍ من أفراد البشرية سيُعاد في الحشر الأعظم والنشر الأكبر بعينِه وجسمهِ واسمهِ ورسمهِ[3].

يستند الامام سعيد النورسي في حديثه عن الانسان وتوصيفه بهذا الأوصاف الى آيات القرآنية عديدة، منها: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[4]. ويتناص كلامه مع حديث الرسول ﷺ: أنّ الله سبحانه وتعالى يقول للعبد يوم القيامة: (أَيْ فُلْ[5]: أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ[6]؟)[7].

وتكريم الإنسان هو ما جعله الله له من الشّرف والفضل، وجعله ذوي كرم بمعنى الشّرف والمحاسن الجمّة. ولتكريم الله للإنسان صور عديدة لا يمكن إحصاؤها نذكر منها:

١- اختصّ الله الإنسان بأن خلقه بيديه. وأعطاه الصّورة الحسنة والقامة المعتدلة، وخلقه على أحسن هيئة وأكملها وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا وعقلا، ليفرّق بين الأشياء ويعرف منافعها ومضارّها في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة.

---

(١) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٧٥.

(٢) معجم تحليل الخطاب: ٣٠٩.

(٣) اللمعات: اللمعة السابعة عشرة/ ١٧٦.

(٤) سورة الاسراء: ٧٠.

(٥) أَيْ فُلْ: يا فلان.

(٦) تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ: جعلتك رئيسا مطاعا دون مشقة.

(٧) صحيح مسلم: (رقم ٢٩٦٨) ٤/٢٢٧٩-٢٢٨٠.

٢- هداية الانسان هداية عامّة بما جعل فيه بالفطرة، والمعرفة وأسباب العلم.
٣- منحه العقل والنّطق والتّمييز وكرّم الله الإنسان بهذه الفطرة الّتي تجمع بين الطّين والنّفخة. وكرّمه بالاستعدادات الّتي أودعها فطرته فاستأهل بها الخلافة في الأرض.
٤- تسخير المخلوقات وما في السماء والأرض للانسان. وتفضيله على كثير من المخلوقات الأخرى، وتقريبه منه ومعيّته له. وتحميله الأمانة وإعطاؤه الحرّيّة كاملة.
٥- محبة الله للانسان وهدايته إياه بإرسال الرسل- عليهم الصلاة والسلام-، ورعايته وحفظه من السّوء. وذكره سبحانه له في الملأ الأعلى.
٦- تحريم دم الإنسان وماله وعرضه وتشديد النّكير والعقوبة على من يفعل ذلك.
٧- إعطاء حقّ المساواة لكلّ فرد مع الاخرين، فلا يتفاضل أحد على أحد إلّا بالتّقوى والعمل الصّالح[1]. فيتفاعل النص النوري مع النصوص القرآنية والنبوية ويتشارك معها في عدّ الانسان:

- أكمل ثمرةٍ في شجرة الخليقة.
- أهم مخلوق بين المخلوقات.
- أغلى موجود بين الموجودات.
- وأن فرداً منه بمثابة نوع من سائر الاحياء.

وقد استخدم الامام النورسي صيغة (أفعل) الدالة على التفضيل الأساسي للانسان على بقية الأحياء. وفي وصف الانسان بـ(ثمرة، مخلوق، موجود) دلالة على الكمال والأهمية القصوى في الفاعلية الايجابية وبناء عالم أفضل.

وهنا تظهر دلالة التفاعل جليّة للعيان، ففيه دلالة التشارك والمطاوعة، فقد تشارك النص القرآني والحديثي والنص النوري واتفقا على تكريم الانسان وتفضيله على جميع المخلوقات، ولكن النص الثاني لم يتوقف بل تفاعل مع النص الأول واضاف معان أخرى، كتوصيف الانسان بأنه: (أكمل ثمرةٍ في شجرة الخليقة)، والتي فيها دلالة الانتاج والعطاء والافادة والجودة والقمة والكمال الذي تميز بها الانسان عن غيره، ويستمر التفاعل بين

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، الشيخ صالح بن حميد، دار الوسيلة، ط٤، جدة، ١٤١٨: ١١٣٦-١١٤١.

النصين ليصل الى نتيجة أعلى، وهي: (وأن فرداً منه بمثابة نوع من سائر الاحياء) للدلالة على قيمة الانسان، فالفرد الواحد يعادل أمة من غيره، وفيها تظهر المطاوعة جلية بين النصين.

**ثالثا. التداخل:**

يتوضح تداخل (الهَديَيْن ورسائل النور) بتشابه ودخول الأول في الثاني بصور متنوعة، ويظهر تداخل (رسائل النور) بالهَديَيْن في فضاء نصي عام، ويستغرق هذا التشابه حيزا من النص المركزي، ويوجد صلات قوية بينها.

يظهر التداخل في التناصية التي تؤكد: حضور نص في نص آخر بوساطة التلميح[1].

ويمكننا الاستشهاد بحديث الامام النورسي عن العمل الصالح وتقسيمه الى نوعين، فيقول:

"إنّه سبحانه طلب منا الزكاة عُشراً أو واحداً من أربعين جزءاً من ماله الذي اعطاه لنا، فبخلنا وظلمنا وخلطناه بالحرام، ولم نعطها طوعاً. فأرغمنا على دفع زكاة متراكمة. وانقذنا من الحرام، فالجزاء من جنس العمل.

إنّ العمل الصالح نوعان: احدهما: ايجابي واختياري. والآخر: سلبي واضطراري.

فالآلام والمصائب كلها اعمال صالحة سلبية اضطرارية، كما ورد في الحديث الشريف وفيه سلواننا وعزاؤنا[2]. ويستغرق هذا التقسيم العبادة ايضا بوصفها عملا صالحا، فيقول:

"إنّ العبادة قسمان:

**الاولى**: العبادة الايجابية المتجسّدة في اقامة الصلاة والدعاء وامثالها.

**الثانية**: العبادة السلبية التي يتضرع فيها المصاب ملتجأً الى خالقه الرحيم مستجيراً به متوسلاً اليه، منطلقاً من احاسيسه التي تُشعره بعجزه وضعفه امام تلك الامراض والمصائب. فينال بذلك التضرع عبادةً معنوية خالصة متجردة من كل انواع الرياء"[3].

ويقصد بالنوع الأول من العمل الصالح والعبادة، الاعمال الايجابية التي يفعلها المسلم باختياره في بناء عالمه بصورة أفضل. وقد استغرق هذا النوع في القرآن الكريم مساحة واسعة وصيغ متنوعة لحث الناس على فعله وانتشاره، وقد اتسعت مدياته في الاسلام لمساحات

---

(١) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٧٨.

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والثلاثون/٨٥٩- ٨٦٠.

(٣) اللمعات: اللمعة الخامسة والعشرون/ ٣١٦.

شاسعة.

ويطلق العمل على كل فعل مقصود، وهو أخص من الفعل لأن الفعل قد يقع بغير قصد. والعمل الصالح هو العمل الخالي من الخلل، والذي يلتزم الإخلاص في النية وبلوغ الوسع فيه، ويطلق العمل الصالح على ما دبّر بالعلم. فالصالح الخالص من كل فساد، وعرفا القائم بما وجب عليه من حقوق الحق والخلق[1]. فيطلق العمل الصالح على كل عمل أو قول يقوم به المسلم ابتغاء مرضاة الله، ويسهم في أداء مهمته التي خلقه الله من أجلها ويكون نتاجه خيرًا ونافعا للإنسان والمجتمع والبشرية والخليقة جمعاء.

وقد مدح الله المؤمنين أهل العمل الصالح وجعلهم خير الخلق، بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾[2]. ويظهر التلازم بين الايمان والعمل الصالح، وعند تحقيقهما سينالوا وصف (الخيرية) الذي خصه الله سبحانه بهم دون غيرهم، "والبرية جميع الخلق لأن الله تعالى برأهم أو أوجدهم بعد العدم"[3].

فالصفة الاساسية للعمل الصالح عند الامام النورسي هي الاختيارية، عندما يقوم الانسان بها اختيارا وليس اضطرارا، وهذا هو الفرق بين النوع الأول والنوع الثاني: السلبي الاضطراري، الذي مثل له بـ(الآلام والمصائب) التي يجبر الانسان على فعلها. ويمكننا التمثيل لتقسيم النورسي للعمل الصالح الى (الايجابي والسلبي) في الرسم العلامي الآتي:

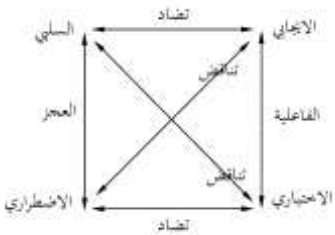


فالنوع الاول من العمل الصالح: الايجابي والاختياري هو الذي يؤسس لعمرآن الأرض

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، ١٤١٠: ٤٤٦، ٥٢٧.

(٢) سورة البينة: ٧.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢: ٥٠٨/٥.

وازدهارها، وعندما ينكص الانسان عن فعله فسيجبر عليه بطريقة ثانية، عندها سيكون فعله سلبيا واضطراريا، وسلبيته تعني انه لا يؤسس لعمرآن الأرض وازدهارها أما الاضطرارية فتدل على الجبر الفعلي.

**رابعًا. التحاذي:**

يتحقق التحاذي بمجاورة أو موازاة (رسائل النور) للهَديَيْن في فضاء تناصي خاص، فوجود بعض النصوص إلى جانب بعض يحقق التحاذي النصي بينهما، مع محافظة كل نص على هويته وبنيته ووظيفته. وتتخذ المجاورة أو الموازاة فيه دلالة التوجه والتأطير الواحد، في حين قد تبتعد المضامين بينهما.

ويمكننا التمثيل بتأكيدات الامام النورسي عن أنّ الايمان يدعو الى الاخوة والمحبة، بقوله:

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[1].

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[2].

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

إنّ ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض اصلاً. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الاسلام الذي يمثل روح الانسانية الكبرى. فضلاً عن ان العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة"[4].

إنّ الامام النورسي يبدأ حديثه عن الأخوة والمحبة ونقده (للمرفوضات الثمانية) المتمثلة بـ: التحايز والعناد والحسد والنفاق والشقاق والحقد والغل والعداء، بذكر ثلاث آيات قرآنية عن: الاصلاح بين الأخوة والدفع بالتي هي أحسن وكظم الغيظ والعفو عن الناس والاحسان. ويظهر التحاذي بتجاور النص النورسي مع الآيات البينات مما سيكسبه دلالات

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة فصلت: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٤) المكتوبات: المكتوب الثاني والعشرون/ ٣٣٩.

واسعة بتأثير التحاذي. ويستند رفض الامام النورسي (للمرفوضات الثمانية) الى مثلث الحق العلامي الآتي:

فتعاليم الاسلام ومبادئه الحقّة تتقاطع مع (المرفوضات الثمانية)، انطلاقا من الآيات البينات التي صدّرَ بها نصه. وتحذير الرسول ﷺ للمسلمين من ثمانية أمور: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[1].

وتؤيد الحقيقة رفض النورسي بوصفها: سمة الحق، والتي تطلق على الواقع الذي يحصل التحقق منه تجريبيا، أي الحكم المطابق للواقع، فالحقيقة التي قصدها النورسي تؤكد أن هذه (المرفوضات الثمانية) تفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هي سمّ زعاف لحياة البشرية قاطبة. ويرغب النورسي بتخليص المجتمع منها ليبني عالم أفضل يعم فيه السلام والتعاون والالفة والمحبة.

أما الحكمة فتعني: "إصابة الحق بالعلم والعمل"[2]، أو موافقة الحق ووضع الشيء في موضعه، وتطلق على صواب الأمر وسداده، وتعدّ مانعة للجهل.

ولعلاج هذه الأمراض يؤكد الامام النورسي على ثمان توجيهات نورانية استمدها من الهديَين، هي: (المحبة والاخوة والشفقة وحسن الظن والاتفاق والمدح والوحدة والمواطنة)

(١) صحيح البخاري، الامام محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط١، بيروت، ٢٠٠٢: (رقم ٦٠٦٤) ١٥١٩. وصحيح مسلم: (رقم٢٥٦٣) ٤/ ١٩٨٥. (متفق عليه).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٩١.

ويدخلها في الاعمال الصالحة[1]. فبهذه التوجيهات النورانية نستطيع أن نتجاوز كل المعوقات المحبطة، لأنها تعد معالم أساسية وضرورية في بناء العالم الأفضل –لدى النورسي– وتؤسس للفاعلية الحضارية للأمة.

وبهذا نكون قد أكملنا بحث: (**تناص (رسائل النور) مع الهَديَيْن في الفاعلية الايجابية لبناء عالم أفضل**)، بعد تعريف المفاهيم الأساسية الواردة في البحث: (التناص، الهَديَيْن، الفاعلية الايجابية، العالم الأفضل) والتي تضمنت معالم الفاعلية الايجابية والمعطيات التي تسهم في بناء العالم الأفضل في رسائل النور. ونظرا لامتدادها الواسع في الرسائل اخترنا نماذج منهما فصلنا فيها القول، على وفق آليات التناص الأربع: (التطابق والتفاعل والتداخل والتحاذي)، لبيان علاقة (كليات رسائل النور) مع الهَديَيْن (الوحيَين) في عرض اتساع فاعلية الانسان الايجابية لبناء عالم أفضل.

**والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات**

(١) ينظر: صيقل الإسلام: محاكمات/١٦١، والسانحات/ ٣٤٩. والملاحق في فقه دعوة النور: ملحق أميرداغ١/ ٢٩٧، وملحق أميرداغ٢/ ٣٧٣.